الاستغفار في السياق القرآني
Istighfaar in the context of Quran

د ضياء الحسنين *
محمد شفيق **

Abstract

Quran is the book of guidance for humanity. It is full with mercy of Allah and His compassion towards his creation. In this regard, the word extensively used is Ghafara غفر which is in fact a symbol of love and forgiveness of Al-mighty Allah for his worshipers. The word غفر has been used in Quran in maximum chapters of the Holy Quran, but it doesn't carry a single meaning all the way in all of the Quran. Rather it includes and encompasses other meanings of forgiveness in different contexts which needs scholarly study for elaboration. This article deals with the use of the word غفر and all its derivatives and their meanings in the Holy Quran in the light of scholarly views of Ulamaa of Language and Exegesis. Following the extensive discussion, there are the results and conclusive points of the article.

.....

*باحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام أباد
** محاضر قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام أباد

القرآن الكريم كتاب العزيز الرحيم الذي جعله كله نورا وهدى للناس جميعا كما جعل كل حروفه وكلماته سببا لعلوّ الدرجات والتقرب منه -سبحانه، ومن هذه الكلمات الغزيرة المعنى والإفادة كلمة غفر غ-ف-ر التي لا تكاد تخلو منه سورة من القرآن الكريم كما نجد لها صورا ومعاني مختلفة ومتنوّعة في سياق ما يجري بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده من أوامر ونواهي وتقرب وتباعد.

وفي هذا البحث نحاول أن نتتبّع هذه الكلمة بكل صورها ومعانيها المتناثرة في ينابيع القرآن الكريم في ضوء آراء العلماء والمفسرين القدامى والمحدثين ونشرحها شرحا لا غبار فيه. ونذكر في الأخير النتائج التي تترتب على هذا البحث.

غفر لغة واصطلاحاً:

الستر والتغطية[1]. ومنه ستر الذنب ويكون "بعدم الفضيحة عليه في الدنيا وترك الجزاء عليه في الآخرة"[2]. "فيصير بمنزلة غير الواقع في الحكم"[3].

قال ابن فارس: "الغين والفاء والراء عِظَمُ بابه الستر، فالغَفْر: الستر، والغُفْران والغَفْر بمعنىً يقال غفر الله ذنبه غَفْراً ومغفرةً وغفراناً"[4]

وكلام الراغب يقتضي هذا المعنى إذ قال: "الغفر: إلباس مما يصونه عن الدنس ، ومنه قيل: اغفر ثوبك في الوعاء ، واصبغ ثوبك فإنه أغفَرُ للوسخ ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبدَ من أنْ يمسَّه العذاب، وقد يُقال: غفر له إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجافَ عنه في الباطن"[5]. كقوله تعالى: "قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ"[6].

والغفُور والغفّار من أسماء الله سبحانه، وبناهما بناء صيغ المبالغة وفي معناهما يقول ابن منظور في لسان العرب: "الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، إلا أنّ غفّاراً أبلغ من غفور، لزيادة بنائه"[7].

ومن المعاني التي شذّت عن هذا المعنى قولهم : "غَفَرَ المريضُ والجريحُ يَغفِر غفراً وغُفِرَ بالضم على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله كلّ ذلك إذا نُكِس، يقال للرجل إذا قام من مرضه ثم نُكِس أي عاوده

المرض: غفر يغفر غفراً، وكذلك العاشق يُقال له: غفر إذا عاده معِيدَه بعد السلوة"[8].

اختلف علماء اللغة والتفسير في الفرق بين العفو والغفران أو المغفرة على ما يأتي :

قال أبو هلال العسكري : "الفرق بين الغفران والعفو هو أن الغفران يسقط العقاب مما يعني أنه يوجب الثواب مما يدل على أنه لا يناله إلا من كان مؤمنا، فلا يستخدم هذه المادة إلا خاصة لوجه الله الكريم والعفو أقل درجة من الغفران لما أنه يسقط اللوم والذم ولا يوجب الثواب مما يعني أنه يمكن استخدامه لله ولعبده أيضا فيقال لقد عفوتُ عنك لكن الكلمتين تستخدمان بمعنى عام ومتقارب ,إذا تتبعنا الفرق الدقيق فهو الذي ذكرناه آنفا وذلك أن عفا لا يوثر إلا في شيئ وهو المحو أما غفر فهو يؤثر في شيئين المحو والإسقاط للعقاب وإيجاد الثواب أيضا" [9] فالعفو " فالعفو "العزل عن

العقاب على الذنب والغفرة ستره وكساؤه لباس الثواب ولهذا نجد أن المغفرة كثرت في الكلام بين الله وبين عباده كما نجد قولا استغفر الله و لا نجد استغفر الأمير أو السلطان" [10]. يتضح من ذلك أنّ الغفران أو المغفرة أبلغ من العفو ، وأحسب أنّ هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى الصواب والله أعلم .

قال تعالى: "وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".[11]

فالعفو والمغفرة والرحمة ألفاظ متقاربة المعنى، والفرق بينها بسيط، وهو أنّ العفو هو إهمال العقاب على المذنب، والمغفرة ترك العقاب مع الستر على الذنب، والرحمة طلب التفضل والإنعام والثواب[12].

وذكر الرازي أنّ "العفو هو إسقاط العقاب والمغفرة ستر على المذنب كي لا يواجه الخجل والفضيحة وكلاهما عذاب؛ أولهما جسماني وثانيهما روحاني، وإذا تخلص منهما أقبل على الحصول على الثواب بنوعيه؛ الجسماني الذي يتمثل في ملذات الجنة والروحي الذي يتلذذ بنور الله جل وعلا"[13].

وفي تفسير المنار : "العفو محو الشيئ كما يقال عفا الماء الأثر أو عفت الريح الأثر ومنه العفو عن الذنب وعفا له ذنبه أي محاه ولم يبق له أثر فلم يرتب عليه عقابا بهذا يتضح أن العفو أعمق وأبلغ لأن المغفرة والغفران هو الستر على الذنوب مما يعني انه لا ينافي بقاء الأثر للذنب ومعنى العفو ذهاب الأثر نهائيا فالعفو يمحو الذنوب كأنها لم تكن"[14].

وذكر السيد عبد الأعلى السبزواري . رحمه الله تعالى . أنّ "العفو إذهاب أثر الشيء والمراد به محو آثار المعاصي والذنوب . والمغفرة : الستر ، أي الصفح عن الذنوب ، وإسقاط حق العقوبة والعذاب"[15].

فالعفو إذا كان بمعنى المحو فهو أبلغ من المغفرة .

أما التفاوت بين الغفران والستر: فهو " أنّ الغفران أشمل و أخص بمعنى أنه يوجب الثواب والجزاء أما الستر فهو أقل معنى من الغفران لأنه لا يؤدي إلى إيجاب الثواب أو استحقاقه"[16].

ويتضح من ذلك أن القرآن يستخدم كلمة لمعنى لا يؤديه كلمة أخرى، وإنّ لكل مفردة معنىً خاصاً تمتاز به عن سائر المفردات الأُخر التي تتفق معها في المعنى العام[17].

فمثلاً: العفو، والصفح ، والغفران هذه الألفاظ يجمعها معنى عام ، فهي تدل على ترك العقوبة عمن يستحقها ، لكن علماء اللغة والتفسير ذكروا فروقاً دقيقة بين هذه الألفاظ، فالعفو هو ترك العقاب على الذنب، والصفح ترك العقاب مع ترك اللوم والتثريب، فهو أبلغ من العفو، فقد يعفو الإنسان، ولا يصفح ، وأما الغفران فهو إسقاط العقاب بإيجاب الثواب ، أي تغطية الذنب بإيجاب المثوبة .

وهذا يدل على أنّ ظاهرة الترادف في القرآن الكريم غير واردة وغير موجودة[18].

ومما يؤكد هو أن هذه الككلمات وردت متعاقبة في آية واحدة هي قوله تعالى: "وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[19].

فلو كان المعنى واحداً لما كان هناك فائدة من ذكرها على هذا النحو . قال الطبرسي : "(إِن تَعْفُوا) أي تتجاوزوا عن العقاب. (وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا) أي تعفون عنهم وتسترون ما ارتكبوا من الذنوب إن تحسنت أحوالهم وتثبتوا على الخير".[20]

ولذا لا أتفق مع الشيخ محمد جواد مغنية فيما ذهب إليه من أنه لا فرق بين العفو والصفح والمغفرة إلا باللفظ، وأنّ القصد من الجمع بينها هو مجرد التأكيد والترغيب.

ومن ذلك أيضاً الرأفة ، والرحمة ، فالرأفة المعنى البالغ في رحمة مخصوصة، وهي إبعاد الضرر والمكروه ، بينما الرحمة تكون في دفع المكروه وفعل الجميل فهي أعم ، وقيل إن الرأفة إيصال النعيم بدون ألم، بينما الرحمة إبلاغ النعيم مطلقا، إذ قد تكون مع الألم وقد تكون بدونه.

معنى الاستغفار:

الاستغفار من باب استفعال وهو طلب الغفران أو المغفرة[21]. وأصل الاستغفار: "طلب الغفران أو المغفرة من الله تعالى مما ارتُكِب من المآثم باللسان مع التوبة وندامة القلب والعزيمة على ترك العودة إلى مثله أبداً ، إذ الاستغفار باللسان من دون التوبة بالقلب غير نافع"[22].

فالاستغفار إذن : طلب المغفرة قولاً وفعلاً ، قال تعالى: "اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً"[23]، فالأمر هنا يتطلب الاستغفار باللسان والفعل معا لأنه بدون العمل فعل الكذاب[24].

وقد عرف الجرجاني في التعريفات: " الاستغفار عندما تجد حسناتك قليلة وتقبل عليها وعند ما تجد ذنوبك كثيرة فتبتعد وتعرض عنها كما قال أحد العلماء أنه الاستغفار هو إصلاح ما فسد من فعل أو قول؛ يقال اغفر هذا الأمر أي أصلحه كما ينبغي إصلاحه"[25].

ويتبين من ذلك أنّ الاستغفار ينبغي أنْ يكون نابعاً من صميم قلب المستغفر، مع العزم والتصميم على ترك الذنوب والإقلاع عنها، إما إذا كان الاستغفار كلمة تقال ثم يعاود الإنسان ارتكاب الذنوب نفسها أو أكثر منها ، ولم يكن هناك عزم وتصميم على ترك الذنوب ، أصبح الاستغفار في هذه الحالة ككلمة تقال عادة ، ولم تكن نابعة من القلب ، فهنا تنتفي الاستفادة من حقيقة الاستغفار التي ترمز إلى معنى عظيم وكبير.

فالاستغفار الحقيقي هو النابع من القلب والعقل ، ويرمز إلى عدة معانٍ حددها علي كرم الله وجهه لما قال قائل أمامه: أستغفر الله ، فقال له أمير المؤمنين: "ثكلتك أمُّك ، أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العليِّين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ :

- التأسف والندامة على ما مضى.
- الإراة القوية على ترك الرجوع إليه أبدا.
- أنك فاتتْك فريضة فتعمد لأداء حقها
- أن تؤدي الناس حقوقهم حتى تلقى الله بوجه طلق
- أنْ تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت[26] فتذيبه بالأحزان حتى تُلصِق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .
- "أن تدرب نفسك على ألم الطاعة كما عوّدتها على حلاوة المعصية فتقول أستغفر الله"[27].

ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟

إنّ " الاستغفار هو أن تطلب المغفرة بالدعاء او التوبة أو غيرهما ما من عمل طيب والتوبة أن تتأسف وتندم ذنوبك وتعزم ألا تعود إليه أبدا"[28] فالاستغفار: هو طلب العفو عما مضى بصرف النظر عما يأتي ، أما التوبة فهي طلب الغفران عن الماضي مع العهد على ترك المعاصي في المستقبل. والتوبة لا تحصل إلا بتحقيق الشروط الثلاثة[29]:

الأول : الندم على فعله .

والثاني : الإرادة القوية على عدم الرجوع إليه.

الثالث: الإخلاص في التوبة.

وذكر أصحاب الوجوه والنظائر ثلاثة أوجه للاستغفار في القرآن الكريم هي :

- الاستغفار بعينه[30]: وهو طلب غفران الذنوب، فذلك في قوله تعالى: "وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"[31]، أي: استغفري لئلا يعاقبك بذنبك ، وقال تعالى: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..."[32].
- الاستغفار من الشرك والكفر[33] : كقوله تعالى: "وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ"[34] ، وقال تعالى: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ"[35] ، أي: استغفروا ربكم من الشرك ، وقال تعالى:"وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ ..."[36]

أي: استغفروا ربكم من الشرك والكفر[37].

- الصلاة[38]وذلك في قوله تعالى: "وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ"[39] ، فالمراد بالمستغفرين: المصلون بالأسحار[40] .

وقال تعالى: "وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"[41] ، أي يصلون.

وإنما صارت المغفرة في هذا المكان بمعنى الصلاة، لأنّ في الصلاة سؤال المغفرة[42].

وقد تكون الصلاة بمعنى الدعاء والاستغفار[43]. كقوله تعالى: " وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لهم"[44]

أي : " ادع لهم بالخير وستغفر لذنوبهم لأن الصلاة دعاء"[45].

وقال بعضهم : كان رسول الله عليه السلام إذا أتاه أحد بصدقة دعا له واستغفر له، وكان لا يستغفر لأهل النفاق، وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي، لما علموا بذلك أنهم ليسوا من أهل النفاق[46]، ففي استغفاره عليه السلام طمأنينة لقلوبهم[47].

أما الصلاة من الله فتكون بمعنى المغفرة والرحمة[48]. كقوله تعالى:("أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"[49] أي: مغفرة من ربهم ورحمة .

أما صلاة الملائكة فهي : "دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم"[50] قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ..."[51].

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما"[52] ، فالله تعالى يصلي عليه بالمغفرة والرحمة، والملائكة تصلي بالاستغفار له عليه السلام، أما الصلاة من المؤمنين فتكون بالتضرع والدعاء والاستغفار له عليه السلام[53].

ومما يزيد من جمال التعبير والتأكيد على الاستمرار بالمغفرة والرحمة من الله تعالى والاستغفار من الملائكة استعمال الفعل المضارع يُصلون الذي يدل على التجدد والحدوث[54].

الأمر الموجّه إلى الرسول الكريم محمد عليه السلام بالاستغفار:

أمر الله تعالى الرسول عليه السلام بالاستغفار في عدة مواضع فقد أمره بالاستغفار لذنبه، والاستغفار بصفة عامة، والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات والاستغفار للمستأذنين، والاستغفار للنساء المبايعات، وسأكتفي بعرض أمرين فقط هما : أمره عليه السلام بالاستغفار لذنبه، وبالاستغفار بصفة عامة، لأنّ الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات وللمستأذنين، وللنساء المبايعات، واضح وجلي يُفهم منه الاستغفار بعينه وهو طلب المغفرة من الله تعالى .

1. الأمر للرسول عليه السلام بالاستغفار من الذنب: قال تعالى : "فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ"[55].

فذهب رأي إلى أنّ المقصود به هو الرجوع عن اختيار غير الأولى أو ما قد صدر عنه . صلى الله عليه وآله وسلم . قبل النبوة ، وقيل المقصود به محض التعبد والدعاء[56]. فإذا كان النبي . صلى الله عليه وآله وسلم . يُؤمر بالاستغفار والتعبد والدعاء والانقطاع إلى الله تعالى فغيره أولى بذلك الاستغفار والتعبد والدعاء ؛ وليكون استغفاره ودعاؤه . صلى الله عليه وآله وسلم . سُنّة لمن بعده[57].

وقيل:إنّ المقصود : استغفر لذنب أمتك في حقك ، من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه[58]، ومثله قوله تعالى : "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ"[59]

2 . الأمر للرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . بالاستغفار بصفة عامة :

قال الله تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً"[60] ، ذكر المفسرون في قوله: { وَاسْتَغْفِرْهُ } وجوهاً من الدلالة[61]:

أحدها: أنّ استغفار النبي . صلى الله عليه وآله وسلم . بمنزلة التسبيح وهذا من صفات الله سبحانه بأنه غفار.

وثانيها: عبادته لله تعالى بالاستغفار ليقتدي به الناس ويتبعونه للتقرب من الله سبحانه لأن الأمة لا يمكن أن تكون عبادتها بدون تقصير، وهذا تنبيه على أنّ النبي عليه السلام مع عصمته وشده احتياطه في عبادته لا يستغني عن الاستغفار فكيف يمكن للأمة أن تستغني عنه.

وثالثها انه كان رجوعا من ترك الأفضل.

ورابعها أن العبد إذا قابل ووازن عبادته بعطائه - سبحانه وتعالى، وجدها تقصر عن الوفاء بأداء الشكر لنعمه وإحسانه فيبدأ يستغفر ويتوب.

وخامسها: الاستغفار لملأ الفراغ بينه وبين الله لأن العبد السائر إلى الله عندما يصل إلى مقام خاص في العبودية يرى نفسه قاصرة في الوفاء بحق العبادة فيبدأ و لا بد أن يبدأ بالرجوع إلى الله بالاستغفار ومادمت المراتب والمقامات للتقرب من الله كثيرة فلا بد أن يكون الاستغفار متواصلا ومتتابعا.

وسادسها : أن يكون القصد من الاستغفار هو للأمة لأن الله سبحانه أمره في مكان آخر بهذا أيضا وهو "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ"[62].

النتائج المترتبة على الاستغفار:

لاستغفار الله تعالى كثير من النتائج الطيبة التي تتجلى فيها رحمة الله تعالى وفضله وبره وإحسانه بعباده المستغفرين ، فمن نتائج الاستغفار: المغفرة التي يمنحها الله تعالى لعباده المستغفرين ، والأمان من العذاب ، وإنزال المطر وزيادة القوة والرحمة ، والإمداد بالأموال والبنين والخيرات[63]. ويمكن إجمال هذه النتائج في ضوء السياق الذي وردت فيه آيات الاستغفار بما يأتي :

1. المغفرة من الله تعالى للمستغفرين: قال تعالى:"وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً"[64]، وقال: "وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً"[65]، وقال: "أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[66] يتبين لنا من الآيات السابقة أنّ من نتائج الاستغفار أنّ المغفرة من الله تعالى للمستغفر وهذا من فضل الله تعالى ورحمته .

ويجب أن يكون الاستغفار مقيّداً بالتوبة؛ لأنّ الاستغفار باللسان من دون التوبة غير نافع ، فالتوبة هي مقدمة ضرورية للاستغفار ؛ لأنّ الاستغفار من دون توبة يحمل في طيّاته نوعاً من النفاق والاستهزاء بالله تعالى ، والآية الثالثة تؤكد ذلك ؛ إذ عرضت على المخاطبين بها أن يتوبوا أولاً ويستغفروا الله تعالى عما اقترفوه من ذنوب .

2. الأمان من العذاب للمستغفرين: قال الله تعالى: "... وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"[67].

تحتمل هذه الآية ردّ الله تبارك وتعالى على مقولة مشركي مكة التي حكاها الله سبحانه وتعالى عنهم في الآية التي سابقتها وهي قوله تعالى:"وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ ..."[68]. فالله عز وجل لم يُنزل عليهم العذاب كما أنزله على الأمم السابقة رحمة منه وفضلاً ، وذلك لسببين[69]:

السبب الأول : وجود الرسول . عليه السلام . بينهم ، فهو . عليه السلام . رحمة للعالمين ، فإكراماً له . عليه وعلى آله الصلاة والسلام . لم يُنزل الله تعالى عليهم عذاب الاستئصال ، ولا يفعل بهم ذلك تعظيماً له .

والسبب الثاني : ما كان الله معذباً هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرونه أو ما كان الله معذباً هؤلاء الكفار، وفي علم الله أن يكون لأحدهم أولاد يؤمنون بالله تعالى ويستغفرونه ، فوُصِفوا بصفة أولادهم وذرياتهم .

وقال ابن عباس . رضي الله عنه . : "كان فيهم أمانان : نبي الله والاستغفار ، أما النبي . صلى الله عليه وآله وسلم . فقد مضى وانتهى أمره ، وأما الاستغفار فهو باق دائم إلى يوم الحساب"[70].

3. إنزال المطر نتيجة الاستغفار: قال تعالى حكاية عن سيدنا هود عليه السلام . "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً..."[71].

وقال تعالى حكاية عن نبي الله نوح . عليه السلام . "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً- يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً"[72]

فمن ثمرات الاستغفار إنزال المطر ، كما بيّنه الله تعالى في الآيتين السابقتين والمطر نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على خلقه ، فهو عماد حياة الإنسان والحيوان والنبات[73]

4. زيادة القوة للمستغفرين، قال تعالى: "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ... يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً..."[74] فقد وعد نبي الله هود عليه السلام . قومه بزيادة قوتهم إن هم استغفروا الله تعالى من عبادة
الأصنام وتابوا إليه واتبعوا أمره . عليه السلام [75].

5. الرحمة للمستغفرين: قال تعالى: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ... لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[76] وأرسل الله تعالى نبيه صالحاً . عليه السلام . إلى قومه ثمود وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، فإذا هم فريقان : فريق مؤمن وفريق كافر ، وكلٌّ من هذين الفريقين خصم للآخر ، وقد استعجل الفريق الكافر العذاب "وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[77]، فردّ عليهم . عليه السلام . قائلاً : "يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ" أي لِمَ تستعجلون بالعذاب قبل التوبة ، ثم حثهم على الاستغفار قائلاً: "لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ" أي هلا تطلبون مغفرة الله تعالى قبل نزول العذاب بكم ، ثم بيّن لهم نتيجة الاستغفار وهي نزول رحمة الله تعالى عليهم "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" أي لكي تُرحموا ، وبذلك يتبين أنّ من نتائج الاستغفار نزول رحمة الله تعالى بالمستغفر[78].

6. الإمداد بالخيرات للمستغفرين: ومنها سقوط المطر غزيراً متتابعاً شديد الانسكاب وإمدادهم بالأموال على اختلاف أنواعها ، وبالبنين ، وهما زينة الحياة الدنيا ، ويُنشِيء لهم حدائق فسيحة شبيهة بالجنات ذات أشجار مظلة مثمرة ، ويسخر لهم الأنهار[79]، قال تعالى حكاية عن سيدنا نوح . عليه السلام : "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً# يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً# وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً"[80].

وما هو واضح لا غموض فيه أنّ جميع النتائج المترتبة على استغفار الإنسان لله تبارك وتعالى عائدة بالنفع إليه ، سواء بقبول أو رحمة أو زيادة قوة وما إلى ذلك مما يرغب فيه الإنسان ويطمح إلى الحصول عليه وفي ذلك دلالة على ترغيب العباد في أن يتوجهوا إلى ربهم الغفور الرحيم بالاستغفار طلباً لغفران ذنوبهم أولاً ، واستدعاءً لما يترتب على ذلك الاستغفار من خيرات وخيرات .

الحواشی

([1]) كتاب العين: خليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175ھ)، ، دار الهجرة ، إيران ، ط/2 ، 1409ھ 407/4 (غفر).

([2]) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت1354 ھ) مراجعة : إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت 1999م . 1420ھ ، 121/3.

([3]) التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460ھ) ، تح : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، 147/2 ، 147/2 . 147/2.

([4]) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395ھ) ، تح : عبد السلام محمد هارون الدار الإسلامية ، بيروت . لبنان ، 1990م . 1410ھ . 385/4 (غفر). 385/4 (غفر).

([5]) مفردات ألفاظ القرآن: العلامة الراغب الأصفهاني (ت425ھ)، تح: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ط/4 ، 1425ھ ص:609 (غفر) 609 (غفر).

([6]) سورة الجاثية، رقم الآية/ 34

([7]) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711ھ) ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968م . 1388ھ 25/5 (غفر) 25/5 (غفر)

([8]) المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (ت458ھ) المطبعة الأميرية، بولاق . مصر ، 1317ھ . 1318ھ . 93/5 ،230 93/5،

([9]) الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري (ت بعد 400ھ) ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط/1 ، 1973م . 1393ھ . ص: 230،

([10]) التبيان في تفسير القرآن: ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460ھ) ، تح : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف، 169/2،

([11]) سورة البقرة، رقم الآية/286

([12]) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: الشيخ محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي (ت792ھ) ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر، ط/1 ، 1355ھ 99/1 ،

([13]) التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606ھ) ، تح : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط/4 ، 124/7،

([14]) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : 100/5 .

([15]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : 520/4 ، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، الشيخ ناصر الشيرازي : 252/2 .

([16]) الفروق في اللغة : 231.230 .

([17]) من أسرار العربية في البيان القرآني ، د. عائشة عبد الرحمن : 37 ، ألفاظ السلوك الخلقي في القرآن الكريم : 350 .

([18]) من أسرار العربية في البيان القرآني : 37 .

([19]) سورة التغابن، رقم الآية/14

([20]) مجمع البيان : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548ه) ، صححه : السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله الطباطبائي اليزدي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ط/1 1986م . 1406ه . 452/10 .

([21]) الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء: محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، 1987م . 112/1 .

([22]) تأويلات أهل السنة : ، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت333ه) ، تح : د. مجدي باسلّوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ط/1 ، 2005 م . 1426ه 329/2

(23) سورة نوح، رقم الآية/10

([24]) مفردات ألفاظ القرآن: العلامة الراغب الأصفهاني (ت425ه) ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت ، ط/4 ، 1425ه 609 (غفر)

([25]) التعريفات: علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت816ه) مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1938م . 1357ه ، ص: 12

([26]) السُّحت بالضم : الحرام الذي لا يحِل كسبه ؛ لأنه يَسْحت البركة أي : يُذهبها ، ينظر: لسان العرب : 41/2 (سحت) .

([27]) نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب . عليه السلام . ، شرح الشيخ محمد عبده : 463/4 .

([28]) الفروق في اللغة : 230.229 ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي :118/5 .

([29]) نفحات القرآن ، الشيخ عبد اللطيف السبكي: د.ط ، مصر ، 1964م . 1384ه 201/1

([30]) الوجوه والنظائر: 119

(31) سورة يوسف، رقم الآية/29.

(32) سورة التوبة، رقم الآية/80.

([33]) إصلاح الوجوه والنظائر: أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت478ه) ، حققه ورتبه وأكمله : عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين بيروت ، ط/1 ، 1970م ص: 341 ،

(34) سورة هود، رقم الآية/90.

(35) سورة نوح، رقم الآية/10

(36) سورة هود، رقم الآية/52

([37]) تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت864ه) وجلال الدين السيوطي (ت911ه) ، تصحيح ومراجعة : أحمد محمد شاكر ، وعلي محمد شاكر دار التراث ، القاهرة . مصر ، 1954م 272/1 .

([38]) الوجوه والنظائر : 119

(39) سورة آل عمران، رقم الآية/17

([40]) تأويلات أهل السنة : 329/2 .

([41]) سورة الذاريات، رقم الآية/18

([42]) تحصيل نظائر القرآن: محمد بن علي الترمذي (ت بعد 318ه) ، تح : حسني نصر زيدان ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط/1 ، 1969م . 1389ه 117. 118 .

([43]) إصلاح الوجوه والنظائر : 284.

(44) سورة التوبة، رقم الآية/103

([45]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310ه) ، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان ، ط/1 ، 2001م . 1421ه 121/1 ،

([46]) تأويلات أهل السنة : 466/5 .

([47]) التصاريف: يحيى بن سلام (ت200ه) ، تح: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع تونس 1979م ص: 166 .

([48]) تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276ه)، شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة . مصر ، 1954م . 1373ه ص: 355

(49) سورة البقرة، رقم الآية/157

([50]) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671ه) ، اعتنى به وصححه : الشيخ هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط/1 ، 2002م . 1422ه 130/14 ،

(51) سورة الأحزاب، رقم الآية/43

(52) سورة الأحزاب، رقم الآية/56

([53]) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت725ه) ، ضبطه وصححه : د. عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط/1 ، 2004م . 1425ه 435/3 ،

([54]) التيسير في تفسير اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، السيد فاضل يوسف الحجار:ص: 20 .

(55) سورة غافر، رقم الآية/55.

([56]) التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606ھ) ، تح : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط/4 2001م . 1422ھ . 525/27

([57]) في رحاب القرآن الكريم : د. ياسين محمد يحيى ، دار مصر للطباعة ، القاهرة 1996م ص: 81 .

([58]) التفسير الكبير: 525/27

([59]) محمد: من الآية: 19

([60]) النصر: 3

([61]) في رحاب القرآن الكريم :ص: 85 .

([62]) محمد: من الآية : 19

([63]) في رحاب القرآن الكريم :ص: 93 .

([64]) النساء: 106

([65]) النساء: 110

([66]) المائدة: 74

([67]) الأنفال: 33

([68]) الأنفال: 32

([69]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 275/9 . 278 .

([70]) التفسير الكبير: 480/15 .

([71]) هود: 52

([72]) نوح: 10، 11

([73]) تفسير الكشاف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت538ھ) ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط/3 2003م . 1424ھ .. 605/4 .

([74]) هود: 52

([75]) في رحاب القرآن الكريم : 97.96 .

([76]) النمل: 45، 46

([77]) الأعراف: من الآية 77

([78]) الجامع لأحكام القرآن : 140/13

([79]) صفوة التفاسير: 452/3 .

([80]) نوح: 10، 11، 12